

سورة الجمعة

مدنية وعدد آياتها إحدى عشرة ، نزلت بعد الصف .

ومناسبتها لما قبلها من وجوه :

(١) إنه ذكر في السورة قبلها حال موسى مع قومه وأذاه لهم ، ناعياً عليهم ذلك ، وذكر في هذه حال الرسول صلى الله عليه وسلم وفضل أمته ، تشریفاً لهم ، ويعلم الفرق بين الاثنين .

(٢) إنه حكى في السورة قبلها قول عيسى : « وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » وذكر هنا : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) إشارة إلى أنه هو الذي بشر به عيسى .

(٣) لما ختم السورة قبلها بالأمر بالجهاد وسماء تجارة ، ختم هذه السورة بالأمر بالجمعة ، وأخبر أن ذلك خير من التجارة الدنيوية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)

شرح المفردات

القدوس : المنزه عن النقائص المتصف بصفات الكمال ، الأمين : هم العرب ، واحدهم أمي نسبة إلى الأم التي ولدته ، لأنه على الحال التي ولد عليها لم يتعلم الكتابة والحساب ، فهو على الجبلّة الأولى ، يزكيهم : أى يطهرهم بتلاوة آياته ، وآخرين واحدهم آخر بمعنى غير ، لما يلحقوا بهم : أى لم يلحقوا بهم بعدوسيلحقون ؛ وهم من جاء بعد الصحابة إلى يوم الدين .

الإيضاح

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض) أى كل ما فى السموات والأرض ، إذا نظرت إليه ذلك على وحدانية خالقه ، وعظيم قدرته ، كما قال سبحانه : «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ» .

(الملك القدوس) أى هو المالك لما فى السموات والأرض المتصرف فيهما بقدرته وحكمته ، المنزه عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله .

(العزيز الحكيم) أى هو الغالب عباده المسخر لهم بقدرته ، الحكيم فى تدبير شئونهم فيما هو أعلم به من مصالحهم ، ويوصلهم إلى سعادتهم فى معاشهم ومعادهم .

ثم وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بصفات المدح والكمال فقال :

(هو الذى بعث فى الأمين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) أى هو الذى أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الأمة الأمية التى لا تقرأ ولا تكتب وهم العرب ، أخرج البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» .

وهذا الرسول من جملتهم أى مثلهم ، ومع ذلك يتلو عليهم آيات الكتاب ،

ليجعلهم طاهرين من خباثت العقائد والأعمال ، ويعلمهم الشرائع والأمور العقلية التي تكمل النفوس وتهذبها ، وإلى ذلك أشار البوصيري بقوله :

كفالك بالعلم في الأُمى معجزةً في الجاهلية والتأديب في اليتيم

وتخصيص الأميين بالذكر لا يدل على أنه لم يرسل إلى غيرهم فقد جاء العموم في آيات أخرى كقوله : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » وقوله : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » وقوله : « لَا نَذِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ » .
ومن حكمته تعالى أنه أرسله عربياً مثلهم ، ليفهموا ما أرسل به ويعرفوا صفاته وأخلاقه ، ليسهل اقتناعهم بدعوته .

وخلاصة ماسلف : أنه ذكر الغرض من بعثة هذا الرسول ، وأجملها في أمور :

- (١) أنه يتلو عليهم آيات القرآن التي فيها هدايتهم وإرشادهم لخير الدارين ، مع كونه أمياً لا يكتب ولا يقرأ ، لئلا يكون هناك مطعن في نبوته ، بأن يقولوا إنه نقله من كتب الأولين كما أشار إلى ذلك بقوله : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُطُ بِهِ يَمِينِكَ إِذَا أَرْتَابَ اللَّبَطُلُونَ » .
- (٢) أنه يطهرهم من أدناس الشرك وأخلاق الجاهلية ، ويجعلهم منيبين إلى الله مخبتين إليه في أعمالهم وأقوالهم ، لا يخضعون لسلطة مخلوق غيره ، من ملك أو بشر أو حجر .

(٣) أنه يعلمهم الكتاب والحكمة : أي يعلمهم الشرائع والأحكام وحكمتها وأسرارها ، فلا يتلقون عنه شيئاً إلا وهم يعلمون الغاية منه ، والغرض الذي يفعله لأجله ، فيقبلون إليه بشوق واطمئنان ، وقد تقدم مثل هذا في سورة آل عمران .

(وإن كانوا من قبل لقي ضلال مبين) ذاك أن العرب قديماً كانوا على دين إبراهيم ، فبدلوا وغيروا واستبدلوا بالتوحيد شركاً ، وباليقين شكاً ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله ، فكان من الحكمة أن يبعث سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم

بشرع عظيم فيه هداية للبشر ، وبيان مأم في حاجة إليه من أمور معاشهم ومعادهم ودعوتهم إلى مانيه رضوان ربهم ، والتمتع بنعيم جناته .
ونهاهم عما يوجب سخطه ويقربهم إلى النار .

(وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) أى وبعثه في غيرهم من المؤمنين إلى يوم القيامة وهم من جاءوا بعد الصحابة إلى يوم الدين من جميع الأمم كالفرس والروم وغيرهم .
روى البخارى عن أبى هريرة قال : « كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فأترلت عليه سورة الجمعة فتلاها ، فلما بلغ «وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ» قال رجل يارسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا ؟ فلم يكلمه حتى سأله ثلاثاً ، قال وسلمان الفارسى فينا ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال : «والذى نفسى بيده لو كان الإيمان بالثرى لثناوله رجال من هؤلاء» .

(وهو العزيز الحكيم) أى وهو ذو العزة والسلطان ، القادر أن يجعل هذه الأمة المستضعفة صاحبة النفوذ والقوة التى تنشر في غيرها من الأمم روح العدل والنظام بإرسال رسول من أبنائها ينقذ الناس من الضلالة إلى الهدى ، ومن الظلمات إلى النور ، وهو الحكيم فيما يفعل من تدبير أمور الخلق لما فيه خيرهم وفلاحهم .

ثم ذكر سبحانه أن إرسال هذا الرسول فضل منه ورحمة فقال :

(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أى وإرسال هذا الرسول إلى البشر من كيا مطهوراً لهم ، هازباً معاصيهم ، فضل من الله وإحسان منه إلى عباده ، يعطيه من يشاء ممن يصطفيه من خلقه بحسب ما يعمله من استمداده وصفاء نفسه ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته .

وهو سبحانه ذو الفضل العظيم عليهم في جميع أمورهم في دنياهم وآخرتهم ، في معاشهم ومعادهم ، فلا يجعلهم في حيرة من أمرهم بتناهبهم الشكوك والأوهام ، ولا يجدون للخلاص منها سبيلاً ، ولا يجعل قلوبهم يبطش بضعيفهم ويقتصب أموالهم

ويسعى فى الأرض بالفساد ، ويهلك الحرث والنسل ، فيكون العالم ككرة تتقاذفها أكف اللاعبين ، فهو أرحم بعباده من أن يتركهم سدى هملاً لاصلاح لهم فى دين ولادنيا .

مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَقْرَؤْنَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ، ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)

شرح المفردات

حَمَلُوا التَّوْرَةَ : أى عَلَمُوهَا وَكَتَبُوهَا الْعَمَلُ بِهَا ، لَمْ يَحْمِلُوهَا : أى لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا فِي تَضَاعُيفِهَا ، وَالْأَسْفَارُ : وَاحِدُهَا سَفَرٌ ؛ وَهُوَ الْكِتَابُ الْكَبِيرُ ، هَادُوا : أى تَهَوَّدُوا وَصَارُوا يَهُودًا ، أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ : أى أَحِبَاءُ لَهُ ، بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ : أى بِسَبَبِ مَا اجْتَرَحُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي .

المعنى الجملى

بعد أن أثبت سبحانه التوحيد والنبوة ، وذكر أن الرسول بعث للأمم قال لليهود : إن الرسول لم يبعث لنا ، فرد الله عليهم مقابلهم بأنهم لو فهموا التوراة حق

الفهم ، وعملوا بما فيها ، لزاوا فيها نعت الرسول والبشارة به ، وأنه يجب عليهم اتباعه وما مثلهم في حملهم للتوراة وتركهم العمل بها إلا مثل الحمار يحمل الكتب ولا يجديه حملها نفعا .

ثم رد عليهم مقالا آخر إذ قالوا نحن أحبنا الله وأولياؤه وإنه لن يدخلنا النار إلا أياما معدودات - بأنه لو كان ما تقولونه حقا لتمتيم الموت حتى تخلصوا من هذه الدار دار الأكدار ، وتذهبوا إلى دار النعيم ، وإنكم لن تعملوا ذلك فأنتم كاذبون فيما تدعون ، ولم تفزروا منه وهو ملاقيكم ولا محالة ؟ وهناك ترجعون إلى ربكم فينبئكم بما قدمتم من عمل ويجازيكم عليه ، إن خيرا وإن شرا .

الإيضاح

(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) يقول سبحانه ذاما لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ، ثم لم يعملوا بها : ما مثل هؤلاء إلا كمثل الحمار يحمل الكتب لا يدري ما فيها ، ولا كنه ما يحمل ، بل هم أسوأ حالا من الحمار ، لأن الحمار لا يفهم لها ، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها فيما ينفعهم ، إذ حرقوا التوراة فأوثقوها وبدلوها ، فهم كما قال في الآية الأخرى : « أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ » .

وصفة القول : إن هذا النبي الذي تقولون إنه أرسل إلى العرب خاصة ، هو ذلك النبي المنعوت في التوراة والبدشربه فيها ، فكيف تفكرون نبوته ، وكتابتكم يحض على الإيمان به ؟ فما مثلكم في حملكم للتوراة مع عدم العمل بما فيها إلا مثل الحمار يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ، فأنتم إذ لم تعملوا بما فيها وهي حجة عليكم إلا مثل الحمار ليس له إلا ثقل الحمل من غير انتفاع له بما حمل .

ثم بين قبح هذا المثل وشديده ودمه على من يعقله ويتدبره فقال :

(بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أى ما أقيح هذا مثلاً لهم ، لتكذيبهم بآيات الله التي جاءت على لسان رسوله لو كانوا يتدبرون ويتفكرون ، إذ لم يكن لهم ما يشبههم من ذوى العقول والحجا من ملك أو إنس ، بل لاشبهه لهم إلا ما هو أحقر الحيوان وأذله وهو الحمار .

ولا يُقِيم على ضميمٍ يراد به إلا الأذلان عَيْرُ الحىِّ والوَتِدُ هذا على الخسْفِ مربوطٌ برمته وذا يُشجُّ فلا يرثي له أحدٌ

(والله لا يهدي القوم الظالمين) لأنفسهم الذين دسوها حتى أحاطت بهم الخطيئة وأعمت أبصارهم ورائت على قلوبهم ، فلم تر نور الحق ، ولم تشعر بحجة ولا برهان ، بل هي في ظلام دامس لاتتهدى لطريق ، ولا تصل إلى غاية .

ولما كان من شأن من لم يعمل بالكتاب الذى أنزل إليه أن يكون محبباً للحياة تاركاً لكل ما ينفعه فى الآخرة قال أسرار رسوله أن يقول لهم :

(قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) أى أيها اليهود إن كنتم تزعمون أنكم على هدى من ربكم ، وأن محمداً وأصحابه على ضلالة ، فادعوا بالموت على الضال من الفتيين ، إن كنتم صادقين فيما تزعمون ، وقد تقدم الكلام فى مثل هذه المباهلة (الملاعنة) لليهود فى سورة البقرة فى قوله : « قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » كما تقدمت مباهلة النصارى فى آل عمران فى قوله : « تَمَنَّ حَاجَتِكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا رِبًّا أَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » ومباهلة المشركين فى قوله : « قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا » .

ثم أخبر بأنهم لن يتمنوه أبداً لما يعلمون من سوء أفعالهم وقبيح أعمالهم فقال :

(ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أى ولا يتمنونه أبدا لعلمهم بسوء أعمالهم لكفرهم بآيات الله وتدسيتهم أنفسهم بالمعاصى والشرور والآثام .

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : « والذى نفسى بيده لا يقوله أحد منكم إلا غصَّ بريقه » : فلم يتمنَّ أحد لعلمهم بصدقه وأيقنوا أنهم لو تمنوه لما توا لساعتهم ، وحق عليهم الوعيد ، وحل بهم العذاب الشديد .

(والله عليم بالظالمين) ولا يخفى ما فى هذا من شديد التهديد والوعيد .

(قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم) أى وماذا يجديكم الفرار من الموت ؟ ولماذا تمتنعون من المبالهة خوفا على الحياة ؟ فإنه سيلاقيكم البتة من غير صارف يلويه ، ولا عاطف يثنيه ، فإن كنتم على الحق فلا تحمِلوا بالحياة ، فإن أيام الحياة مهما طال أمدها لا بد من نفاذها .

(ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) أى ثم ترجعون بعد مماتكم إلى عالم غيب السموات والأرض ، فيخبركم بما كنتم تعملون فى الدنيا من حسن وسيئ ، ثم يجازيكم على كلِّ بما تستحقون .

وغير خاف ما فى هذا من شديد التهديد وعظيم الوعيد لو كانوا يعقلون .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا ، قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ

الرَّازِقِينَ (١١) .

شرح المفردات

نودى للصلاة : أى النداء الثانى الذى كان يفعل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج مجلس على المنبر ، أما النداء الأول على الزوراء (أعلى دار بالمدينة حينئذ بقرب المسجد) فقد زاده عثمان لكثرة الناس ، فاسعوا : أى فامشوا ، وذكر الله : هو الصلاة ، وذروا البيع : أى اتركوه ، فانتشروا : أى فتفرقوا ، من فضل الله : أى من رزقه ، والمراد باللهو : الطبول والمزامير ونحوها ، انفضوا : أى انصرفوا ، قائماً : أى على المنبر وأنت تخطب .

المعنى الجملى

بعد أن نعى على اليهود فرارهم من الموت حباً فى الدنيا والتمتع بطيباتها - ذكر هنا أن المؤمن لا يمنع من اجتناء ثمار الدنيا وخيراتها مع السعى لما ينفعه فى الآخرة كالصلاة يوم الجمعة فى المسجد مع الجماعة ، فعليه أن يعمل للدنيا والآخرة معا ، فما الدنيا إلا مزرعة الآخرة كما ورد فى الأثر « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

ثم نعى على المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تشاغلهم عن سماع عظاته وهو يخطب على المنبر بأمور الدنيا من تجارة وضرب دُفٍّ وغناء بالمزامير ونحو ذلك ، وأبان لهم أن ما عند الله من الثواب والنعم المقيم خير لهم من خيرات الدنيا والتمتع بلذاتها الفانية .

الإيضاح

(يأبىها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) أى إذا أذن المؤذن بين يدى الإمام وهو على المنبر فى يوم الجمعة للصلاة

فاتركوا البيع واسعوا لتسمعون موعظة الإمام في خطبته ، وعليكم أن تمشوا الهوينى بسكينة ووقار حتى تصلوا إلى المسجد .

روى الشيخان عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون (تسرعون) وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة والوقار ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا » .

وعن أبي قتادة قال : « بينما نحن نصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة رجال ، فلما صلى قال : ما شأنكم ؟ قالوا: استعجلنا إلى الصلاة ، قال : فلا تفعلوا ، إذا أتيتم فامشوا وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا » رواه البخاري ومسلم .

(ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى ذلكم السعى وترك البيع خير لكم من التشاغل بالبيع وابتغاء النفع الدنيوي ، فإن منافع الآخرة خير لكم وأبقى ، فهى المنافع الباقية ، أما منافع الدنيا فهى زائلة ، وما عند الله خير لكم إن كنتم من ذوى العلم الصحيح بما يضر وما ينفع .
ثم ذكر ما يفعلون بعد الصلاة فقال :

(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) أى فإذا أدت الصلاة فنتفروا لأداء مصالحكم الدنيوية بعد أن أدت ما ينفعكم فى آخرتكم ، واطلبوا الثواب من ربكم ، واذكروا الله وراقبوه فى جميع شئونكم ، فهو العليم بالسر والنجوى ، لا تخفى عليه خافية من أموركم ، لعلكم تفوزون بالفلاح فى دنياكم وآخرتكم .

وفى هذا إيماء إلى شيئين :

(١) مراقبة الله فى أعمال الدنيا حتى لا يظنى عليهم حبا يجمع حطامها بأى الوسائل من حلال وحرام .

(٢) إن في مراقبته تعالى الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فلأن من راقبه لا يغش في كيل ولا وزن ولا يغيّر سلعة بأخرى ، ولا يكذب في مساومة ، ولا يخلف كذبا ، ولا يخلف موعدا ، ومتى كان كذلك شهر بين الناس بحسن المعاملة وأحبوه وصار له من حسن الأحدثوة ما يضاعف له الله به الرزق ، وأما في الآخرة فيفوز برضوان ربه « وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ » . ويجنات تجري من تحتها الأنهار ، ونعم أجر العاملين .

وعن عراك بن مالك رضى الله عنه أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال : « اللهم أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين » .
ثم عاتب سبحانه عباده المؤمنين على ما كان منهم من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال :

(وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) أى وإذا رأى المؤمنون غير تجارة أو لهوا أسرعوا وتركوك قائما وأنت تحضب الناس .

أخرج أحمد والبخارى ومسلم والترمذى في جماعة عن جابر بن عبد الله قال : « بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قائما إذ قدمت غير (إبل محملة طعاما من دقيق و بُرّ و زيت) فابتدراها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلا أنا فيهم وأبو بكر وعمر فأنزل الله تعالى : وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا إِلَى آخِرِ السُّورَةِ » .

والذى قدم بهذه التجارة دحية الكلبي من الشام ، وكان إذا قدم لم يبق عاتق (الشابة حين أدركت) بالمدينة إلا أنه ؛ ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدمه ، فيخرجوا ليتبعوا منه ، وكان ذلك طريق الإعلان عن التجارة حينئذ .

ثم رغبتهم في سماع العظات فقال :

(قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) أى قل لهم مبينا خطأ ما عملوا :

ما عند الله مما ينفعكم في الآخرة خير لكم مما يفيدكم في الدنيا من التمتع بخيراتها ،
وكسب لذاتها ، فتلك باقية ، وهذه فانية .

(والله خير الرازقين) فأليه سبحانه فاسموا ، ومنه فاطلبوا الرزق ، ولن يفوتكم
ذلك بسمع عظامه ، فالله كفيل برزقكم ، ولن ينقص بترككم البيع والشراء حين
الصلاة ، وحين سماع العظات والنصائح .

ولله الحمد في الآخرة والأولى ، وله الحكم وإليه ترجعون .

خلاصة موضوعات السورة :

- (١) وصفه تعالى نفسه بصفات الكمال .
- (٢) صفات النبي الأمي الذي بعثه الله رحمة للعالمين .
- (٣) النعي على اليهود لتركهم العمل بأحكام التوراة .
- (٤) طلب مباهاة اليهود .
- (٥) الحث على السعي للصلاة يوم الجمعة حين النداء والإمام على المنبر .
- (٦) الأمر بالسعي على الأرزاق بعد انقضاء الصلاة .
- (٧) عتاب المؤمنين على تركهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب قائماً
وتفرقهم لرؤية التجارة أو اللهو .